

## اضطرابات ما بعد الصدمة قبلية موقوتة تتربص بسكان غزة

غزة - تمتد تأثيرات أي حرب، مهما كانت مدتها، على المدنيين بشكل أكبر مما قد تخلفه لدى الجنود بالرغم من أن كلا من المدني والجندي قد يعاني من اضطرابات ما بعد الصدمة، والتي يرى مختصون أنها قبلية موقوتة تهدد المدنيين بوضوح، وهو ما يحصل مع سكان غزة بعد حرب الأخيرة مع إسرائيل.

فعدما تندلع حرب تنتشر أخبارها في كل مكان، وتعرض التلفزيونات تطوراتها على مدار الساعة، وعادة ما تكون هذه الأخبار مدوية ومثيرة، فتترك آثارها السيئة على نفوس الجميع، وتزداد بشاعتها عندما يتأذى منها الأبطال.

ويقول مدير برنامج غزة للصحة النفسية الطبيب ياسر أبو جامع إنه بالرغم من أن الحرب الأخيرة كانت أقصر من التي سبقتها في 2014 وأوقعت عددا أقل من القتلى إلا أن "تداعياتها النفسية ستكون أكثر حدة".

ويتساءل أبو جامع "كيف يمكنك أن تطمنن طفلك عندما يتواصل القصف لأكثر من نصف ساعة؟"، ويقول "الامر مستحيل، نخبر الناس بأنهم بحاجة إلى العيش في غزة من أمن ليشعروا بالأمان، لكن في غزة لم يكن هناك مكان آمن على مدار 11 يوما".

وتبدو كلمات علا اشكننتا - التي كانت تحرق في شاشة هاتفها المحمول متاملة صور شقيقها الوحيدة وأبنائها الأربعة الذين قتلوا في غارة إسرائيلية في غزة، قائلة لوكالة الصحافة الفرنسية وهي تحاول حبس دموعها "كنت أمل أن نجدها حية تحت الركام" - دليلا على مدى الصدمة التي تعرضت لها بسبب القصف الإسرائيلي.

وحتى بعد استقبالها إحصائية نفسية - تعمل في جمعية محلية تسعى لمساعدة علا وغيرها من سكان غزة نفسيا بعد "حرب الأحد عشر يوما" الأخيرة بين إسرائيل وقطاع غزة التي حسدت 260 قتيلًا في الجانب الفلسطيني (بينهم 66 طفلا) و130 قتيلًا في الجانب الإسرائيلي - لم يكن ذلك ليخفف عنها وقع الصدمة.

وفي ليلة دامية في مدينة غزة دُمرت الطائرات الحربية الإسرائيلية منزل عبير، شقيقة علا، في حي الرمال الذي تعرض لأكثر من مفتي غارة جوية إسرائيلية. فبعد عشر ساعات تمكنت طواقم الدفاع المدني من إنقاذ رياض اشكننتا (35 عاما) وطفله سوزي (8 سنوات) من تحت الركام، بينما لم تنج زوجته عبير وأربعة من أطفالها.

وتقول علا، وهي أم لثلاثة أطفال وترفض عرض الإحصائية الحصول على أدوية مهدئة خضية الإدمان عليها، إنها لا تتوقف عن تخيل شعور أختها وأبنائها وهم أحياء لساعات تحت الركام، وتضيف "أشعر بصدمة وخوف من فقدان أبنائي".

وفي غرفة مجاورة تجلس سوزي في حضن والدتها الذي يشجعه الطبيب النفسي حسن الخواج، الناشط في الجمعية أيضا، على الخضوع لجلسات علاج نفسي.

ويرد الأب "أشعر بالاختناق"، ويقول رياض الذي يتجنب الحديث مع أي شخص منذ الحادثة، بحسب عائلته، "فكرت في الانتقال لأعيش إلى جوارهم في المقبرة". ويتابع مشككا في قدرة العلاج النفسي على مساعدته "صدمتي كبيرة، كيف سيتغير ما أشعر به وأفكر فيه؟ لا يمكن أن أعود كما كنت".

ويعتبر كل من رياض وعُلا الذين من بين كثيرين من سكان غزة لا يزالون تحت تأثير الصدمة. وقد أدى التصعيد الأخير إلى تدمير أكثر من ألف وحدة سكنية، وفق سلطات القطاع الذي خاض أربع حروب مع إسرائيل منذ العام 2008.

ويدرك الأطباء وعلماء النفس الذين يعيشون في الجيب الساحلي الفقير، حيث يوجد نحو مليوني نسمة، أن إعادة إعمار قطاع غزة تتجاوز بناء المباني. ويقول الطبيب الخواج "هذه ليست الحرب الأولى في غزة، عدد كبير من الناس يعانون من اضطرابات ما بعد الصدمة. مع كل حرب هناك صدمات جديدة".

ويتابع "توقع أزمة اضطرابات ما بعد الصدمة في الأشهر المقبلة"، مشددا على أن النزاعات المتكررة تضع المرضى في مواجهة انتكاسات مثل اضطراب الضغط الحاد، مع أعراض تشمل الصدمة والإنكار.

كما يوضح الخواج أن التأخر في التدخل العلاجي يمكن أن يتطور، الأمر الذي يمثل تحديا للأطباء النفسيين في القطاع إذ تجب عليهم مواجهة "النفجار" الحالات. ويشدد على ضرورة أن تكون هناك فرق متخصصة على الأرض قائلا "بعد الحرب نذهب إلى الأرض، لكن لا يمكننا أن نقيم ببساطة معاناة الأشخاص، ثم نقول لهم وداعا. يجب أن نتمكن من مساعدتهم".

وتحجز الخدمات الصحية النفسية المتوفرة في قطاع غزة عن تلبية طلبات العلاج النفسي، خصوصا في ظل نقص عدد الأطباء النفسيين إلى جانب عدم توفر دراسة تخصص الطب النفسي في جامعات القطاع.

ويشكك بعض المتخصصين في مفهوم اضطراب ما بعد الصدمة في قطاع غزة. ويقول الأخصائي النفسي سمير زوت "لا يوجد اضطراب ما بعد الصدمة، لأنها صدمة مستمرة".

ويوضح "الشفاء من الصدمة يعني أن تعيش في مكان آمن، لكن في غزة لا يوجد مكان آمن"، ويضيف "يمكنك التحدث عن التكيف والصمود، لكن لا يمكنك العلاج حقا".

وفي مستشفى العودة في مدينة جاليا شمال غزة يرقد الشاب بلال (24 عاما) على سرير الشفاء بعد أن أصيب بجروح في غارة إسرائيلية شرق المدينة. ويروي الـداي الذي تم تجبير ساقه اليسرى "كنت أشرب الشاي عند باب منزلي في حدود العاشرة مساء حين سمعت صوت قصف مقابل بيتنا".

ويضيف "رايت جارنا مصابا ويستغيث. ذهبت لمساعدته لكن ما إن حملته حتى أصابني صاروخ آخر". ويستطرد "كانت الجثث والأشلاء في كل مكان والدخان يغطي المنطقة. زحفت 15 مترا إلى الخلف، لعل أحدا يتمكن من رؤيتي والوصول لمساعدتي... حتى جاء أخي وحملني إلى المستشفى".

وبالقرب من سريره يقف الأخصائي النفسي في منظمة "أطباء بلا حدود" محمود عوض وهو يراقب بلال ويوضح أنه يمر بمرحلة اضطراب حاد. ويشرح عوض كيف أن الشباب "يعاني من الصدمة والإنكار، إذ يميل إلى تعميم كل شيء دون الحديث عن نفسه".

ويضيف "تحاول أن ندفعه للحديث، نريد تجنب تطور الحالة إلى اضطراب ما بعد الصدمة".



انسحاب محفوف بالمخاطر

## القوى الإقليمية تتزاحم على ملء الفراغ الأميركي في أفغانستان

أجندات متنافرة تدفع تركيا وإيران لاستغلال فرصة انسحاب الولايات المتحدة

السكان والمنتشرين بمدينة هرات غربي أفغانستان والتي يطلق عليها اسم "إيران الصغرى".

تاريخيا كانت لإيران قنوات تواصل مع الأفغان سواء الحكومة أو حركة طالبان. ففي ديسمبر 2018 كشفت طهران أنها عقدت مباحثات مع طالبان تشير إلى رغبتها في ملء الفراغ الذي تركه قرار الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب سحب جزء كبير من قوات بلاده من أفغانستان بعد أن عجزت الولايات المتحدة خلال عقدين من الزمن عن هزيمة طالبان وفرض الاستقرار في هذا البلد الإقليمي بالنسبة إليها.

وتسببت وكالة تسنيم الإيرانية القريبة من الحرس الثوري في ذلك الوقت إلى الأمين العام للمجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني علي شمخاني قوله إن بلاده "عقدت محادثات مع طالبان، وإن الحكومة الأفغانية تبليغ بالأمم"، وأكد أن "هذه العملية ستواصل".

وأضاف شمخاني "لطالما كانت الجمهورية الإسلامية إحدى الركائز الأساسية للاستقرار في المنطقة (...). فالتعاون بين البلدين سيسهم في حل المشكلات الأمنية التي تواجه أفغانستان".

وكان إعلان طهران عن محادثاتها مع طالبان قد جاء في مسعى لعرقلة رعاية سعودية - إماراتية لمفاوضات تشترك فيها الحركة والحكومة الأفغانية بهدف التوصل إلى اتفاق سلام ينهي الحرب الأهلية بالبلاد.

ولجأت إيران إلى مقاتلي طالبان إثر إبداء ترامب عزمه على إنهاء العمل بالاتفاق النووي المبرم سنة 2015 جراء مضي طهران قدما في زعزعة الاستقرار ودعم الإرهاب في الشرق الأوسط.

وكانت مجموعة من الوثائق السرية التي تم العثور عليها في الكمبيوتر الشخصي لرئيس تنظيم القاعدة السابق أسامة بن لادن ونشرت في وكالة الاستخبارات الأميركية أكدت وجود علاقات بين التنظيم وإيران.

وفي الوقت الذي تستضيف فيه قطر جولات من المفاوضات بين الحكومة الأفغانية وطالبان للتوصل إلى هدنة طويلة الأمد عقب الانسحاب الأميركي، تسعى السعودية هي الأخرى إلى لعب دور من أجل إحلال السلام الدائم في هذا البلد المترق.

العالمي، بالإضافة إلى ثروات ضخمة من المياه العذبة والباطنية، واحتياطيات هائلة من المعادن والنفط والفحم ما يجعلها إحدى أغنى مناطق العالم بامتياز.

وفي خضم الأجندة التركية التي ستكون مقترنة بفأهومات غربية، فإن المخطط الإيراني حاضر هو الآخر حيث يراهن النظام على أن انسحاب القوات الأميركية سيفرض معادلة جديدة تمكنه من فرض نفوذه وسياسته في أفغانستان.

### أجندة إيرانية

تعمل إيران منذ سنوات على أن تكون القوة الرئيسية المهيمنة في أفغانستان بغض النظر عن شكل الحكومة، وهي تفتتح قنوات التواصل مع مختلف الفرقاء وخاصة المتشددين حيث أثبت التاريخ أنها أحد داعميهم.

ويبدو أن طهران اليوم عاقدة العزم على تكرار ما قامت به في العراق بعد الغزو الأميركي عام 2003 وخاصة بعد انسحاب الولايات المتحدة عام 2011. وما يعزز هذا السيناريو نسبة الشيعة الذين يشكلون عشرين في المئة من إجمالي عدد

وخلال السنوات الأخيرة شهدت العلاقات الأميركية - التركية توترات كبيرة خاصة في ما يتعلق بصفقة منظومة صواريخ أس - 400 الروسية وأيضا الخلافات حول الأزمة السورية، وبعدما تولّى بايدن الرئاسة الأميركية أعرب أردوغان عن رغبته في فتح صفحة جديدة مع الولايات المتحدة.

ويبدو العرض التركي لواشنطن استعدادا لخوض حرب بالوكالة في أفغانستان في ظل حكم طالبان التي تؤكد الاستخبارات الأميركية أنها لم تتغير وستفرض طريقة حكمها المتشدد على الأفغان بمجرد انسحاب القوات الأميركية والأطلسية.

وتطمع تركيا في التوسع أكثر في منطقة آسيا الوسطى الغنية بالهيدروكربونات في محاولة لبسط نفوذها وإنقاذ اقتصادها المتأزم عبر الاستثمار في النزاعات الدامية التي تعيشها تلك المناطق متبعة إستراتيجية توسعية تقوم على مرتكزين هامين هما التدخلات العسكرية والقوى الناعمة.

وتتمتع دول آسيا الوسطى بثروات طاقية هائلة، إذ يبلغ حجم الغاز الطبيعي فيها 34 في المئة من الاحتياطي العالمي، أما النفط فتبلغ احتياطياته 27 في المئة من الاحتياطي

مع اقتراب مغادرة القوات الأميركية أفغانستان في الذكرى العشرين لهجمات 2001، تظهر بوضوح تقاسيم السباق بين القوى الإقليمية لملء فراغ انسحاب الولايات المتحدة، فبينما يبرز اهتمام تركيا وإيران بهذا الجزء المهم من آسيا الوسطى خدمة لأجندتهما التوسعية، تحاول دول الخليج وخاصة السعودية وقطر اتباع أسلوب ناعم بأن تكونا وسيطتين بين الحكومة الأفغانية وحركة طالبان لقطع الطريق أمام أي فرصة تجعل أحد أفقر دول العالم يتحول إلى مسرح لمواجهات دموية قد لا يقدر أحد على حقنها مستقبلا.

انسحاب قواتها وقوات الناتو بمقابل، ويقول مسؤولون أميركيون إن تركيا تضع شروطا ينبغي تسيويتها.

وقال مسؤول تركي لوكالة الصحافة الفرنسية طالبا عدم كشف هويته إن القوات التركية يمكن أن تبقى "طالما أن شروطا معينة قانونية ومالية متوافرة"، ولكنه تسال "إن قررت تركيا البقاء فهي ستبقى ضمن أي إطار مظلة حلف شمال الأطلسي أو اتفاق ثنائي؟

وإذا كانت ستبقى في أفغانستان تحت إشراف حلف شمال الأطلسي فبموجب أي تفويض؟".

وفي مقابل هذا الأسلوب الخشن تتبّع دول خليجية وفي مقدمتها السعودية وقطر الساعيتان إلى المشاركة في إحلال السلام في بلد دمرته الحروب وانتشار المظرفين، أسلوبا ناعما من خلال إطلاق مبادرات بين الفينة والأخرى لرأب الصدع بين حكومة كابول وحركة طالبان قبل موعد الانسحاب الكامل للقوات الأميركية.

اعتبر الرئيس التركي رجب طيب أردوغان الأحد أن تركيا ستكون "البلد الوحيد الموثوق به" الذي يحتفظ بقوات في أفغانستان بعد الانسحاب الأميركي وحلف شمال الأطلسي (ناتو)، وإن هذا الملف سيكون من بين القضايا التي سيخوضها مع الرئيس الأميركي جو بايدن على هامش قمة الحلف الأطلسي الإثنين ببروكسل.

ويرى مراقبون في إصرار الرئيس التركي على هذه الخطوة رغم تهديد طالبان بمواجهة كل القوات الأجنبية التابعة للناتو، وأيضا أزمة أفغانستان الأمنية والتوجس الأميركي من ذلك أحد الملفات التي يمكن استخدامها لبسط المزيد من النفوذ مما يخدم سياسات أردوغان التوسعية.

وسبق أن أبدت أنقرة صراحة عزمها على إبقاء حضورها العسكري في أفغانستان، لكن تفاصيل هذا التوجه لم تتضح بعد، غير أن الظاهر أن أنقرة عرضت على واشنطن مؤخرا القيام بحراسة وتشغيل مطار كابول الدولي بعد

لندن - رغم أن الترويج لانتشار قوات بديلة في أفغانستان يتضمن بعض المخاطر، فإن بعض القوى الإقليمية في الشرق الأوسط قد تساعد في تعويض العيب الذي سببته انسحاب الجيش الأميركي بينما يواصل التكيف مع إستراتيجية جديدة لمواجهة روسيا والصين، لكن ذلك سيكون ثمنه باهظا مع وجود طالبان طرف بارز في المعادلة الأفغانية.

ووجدت تركيا وإيران في المخاوف الأميركية على استقرار أفغانستان بعد سحب جنودها وقوات حلف شمال الأطلسي (الناتو) بالكامل، فرصة مواتية لخدمة أجندتهما وتعزيز نفوذهما في منطقة آسيا الوسطى الحيوية، وهو أسلوب دأب كلا البلدين على اتباعه من أجل تحقيق أهدافهما.

وفي مقابل هذا الأسلوب الخشن تتبّع دول خليجية وفي مقدمتها السعودية وقطر الساعيتان إلى المشاركة في إحلال السلام في بلد دمرته الحروب وانتشار المظرفين، أسلوبا ناعما من خلال إطلاق مبادرات بين الفينة والأخرى لرأب الصدع بين حكومة كابول وحركة طالبان قبل موعد الانسحاب الكامل للقوات الأميركية.

اعتبر الرئيس التركي رجب طيب أردوغان الأحد أن تركيا ستكون "البلد الوحيد الموثوق به" الذي يحتفظ بقوات في أفغانستان بعد الانسحاب الأميركي وحلف شمال الأطلسي (ناتو)، وإن هذا الملف سيكون من بين القضايا التي سيخوضها مع الرئيس الأميركي جو بايدن على هامش قمة الحلف الأطلسي الإثنين ببروكسل.

ويرى مراقبون في إصرار الرئيس التركي على هذه الخطوة رغم تهديد طالبان بمواجهة كل القوات الأجنبية التابعة للناتو، وأيضا أزمة أفغانستان الأمنية والتوجس الأميركي من ذلك أحد الملفات التي يمكن استخدامها لبسط المزيد من النفوذ مما يخدم سياسات أردوغان التوسعية.

وسبق أن أبدت أنقرة صراحة عزمها على إبقاء حضورها العسكري في أفغانستان، لكن تفاصيل هذا التوجه لم تتضح بعد، غير أن الظاهر أن أنقرة عرضت على واشنطن مؤخرا القيام بحراسة وتشغيل مطار كابول الدولي بعد



بينما ترغب تركيا بالتوسع في آسيا الوسطى لبسط نفوذها وإنقاذ اقتصادها المتأزم، تسعى إيران إلى تكرار سيناريو العراق